عصمة الأئمة الإثني عشر(عليهم السلام)

<"xml encoding="UTF-8?>

السؤال:

هل توجد هناك آيات في القرآن الكريم ، أو أحاديث في كتب السنة حول عصمة الأئمة الإثني عشر (عليهم السلام) ؟

ولماذا لا يؤمن أبناء العامَّة بعصمتهم (عليهم السلام) ؟ مع العلم أن أبا حنيفة كان من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام) ؟

الجواب:

ذهبت الإمامية إلى عصمة الأئمة (عليهم السلام) ، ويستدلون على هذه العصمة من الكتاب الكريم والسُّنَّة الشريفة .

فأما الكتاب الكريم فقوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) الأحزاب : ٣٣ .

فإن الرجس المنفي عبارة أخرى عن الذنب والانحراف ، فأي انحراف باطل وزَيغ هو منفي عن أهل البيت (عليهم السلام) .

والمراد من أهل البيت أصحاب الكساء الخمسة، وهم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام).

وقد ذكر الهيثمي في صواعقه : (إن أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين ، لِتَذْكِير ضمير عنكم وما بعده) [الصواعق المحرقة : ١٤١] .

وإذا رجعنا إلى الروايات المفسرة للآية الكريمة ، وجدنا أنها تفسر أهل البيت (عليهم السلام) بأصحاب الكساء الخمسة ، وعدد تلك الروايات من غير الشيعة أكثر مما ورد من الشيعة .

وكمثال لذلك : روى أحمد في مسنده عن أم سلمة أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان في بيتها ، فأتَتْه فاطمة (عليها السلام) ببرمة فيها حريرة ، فدخلت بها عليه ، فقال (صلى الله عليه وآله) لها : (ادعي زوجك وابنيك) .

قالت : فجاء علي والحسن والحسين (عليهم السلام) فدخلوا عليه .

فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة ، وهو على منامة له على دكان ، تحت كساء له خيبري [البُرمة : قدر من حجر ، الحريرة : الدقيق مطبوخ بلبن ، الدكان : مرتفع يجلس أو ينام عليه ، والكساء : الثوب] .

وقالت : وأنا أصلي في الحجرة فأنزل الله هذه الآية : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) الأحزاب : ٣٣ .

قالت : فأخذ (صلى الله عليه وآله) فضل الكساء فغشاهم به ، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ، ثم قال : (اللَّهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلُ بَيتي وَخَاصَّتِي ، فَأَذْهِبْ عَنهُم الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُم تَطْهِيراً) .

قالت : فأدخلت رأسي البيت ، فقلت : وأنا معكم يا رسول الله ؟

قال (صلى الله عليه وآله) : (إِنَّكِ إلى خير ، إِنَّكِ إلى خير) [مسند أحمد ج ٦ ص ٢٩٢] .

فإذا ثبت نفي الرجس عن أهل البيت (عليهم السلام) فذلك عبارة أخرى عن عصمتهم ، هذا من القرآن الكريم .

وأما السُّنَّة المباركة فنكتفي بالاستدلال بحديث الثقلين الصادر من النبي (صلى الله عليه وآله) في مواطن متعددة ، وبأسانيد متعددة من غير الشيعة ، ونتمكن أن نقول أنه حديث متواتر بين الفريقين .

وعلى سبيل المثال ما رواه الحاكم النيسابوري بإسناده عن زيد بن أرقم : لما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من حجة الوداع ونزل غدير خم ، أمر بدوحات فَقُمْن.

فقال (صلى الله عليه وآله) : (كأني دُعِيتُ فأجبت ، إني قد تركت فيكم الثقلين ، أحدهما كتاب الله تعالى ، وعترتي ، انظروا كيف تَخلُفُوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عَلَيَّ الحوض) [مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٩] .

فهذا الحديث يدل على عصمة أهل البيت (عليهم السلام) من عِدَّة وجوه :
أولها :

قَرْنهم (عليهم السلام) بالكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والتصريح بعدم افتراقهم عنه .

ومن البديهي أن صدور أية مخالفة للشريعة سواء كانت عن عمد أو سهو أو غفلة تعتبر افتراقاً عن القرآن الكريم ، والحديث صريح في عدم افتراقهما حتى يردا الحوض .

ثانيها :

أن الحديث قد اعتبر التمسك بهم (عليهم السلام) عاصماً من الضلالة دائماً وأبداً ، وذلك بمقتضى كلمة (لن) الدالَّة على التأبيد .

ثالثها :

أنه لو جاز الافتراق عليهم بمخالفة الكتاب ، وصدور الذنب منهم (عليهم السلام) فذلك يعني كذب الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي أخبر عن الله سبحانه بعدم وقوع افتراقهما ، وحاشا له (صلى الله عليه وآله) أن يكذب .

إذن فدلالة الحديث على عصمة الأئمة (عليهم السلام) واضحة ، لأن عترة الرسول (صلى الله عليه وآله) ليس هم إلا أهل بيته (عليهم السلام) .